International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (6)
IJESA
June 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (6)

أثر التعرض المكثف والمتكرر للمحتوى غير الأخلاقي على القيم والسلوك الاجتماعي: دراسة تحليلية في المجموعات النسوية المغلقة على منصة فيسبوك

عمار بشير نور الدائم
جامعة بحري، السودان
Amarbashir73@gmail.com

يحي على ابراهيم عبد العال
جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

الملخـص

تتناول هذه الدراسة الوصفية التحليلية التأثيرات الناتجة عن التعرض المكثف والمستمر للمحتوى غير الأخلاقي بمنصة فيسبوك - كواحد من أكبر وسائل التواصل الاجتماعي ذات الشعبية العالية في السودان - على قيم وسلوكيات الشابات السودانيات؛ مع تركيز الدراسة على المجموعات النسوية المغلقة في موقع فيسبوك. وتستند الورقة إلى مزيج من الأدبيات العربية والدولية؛ إلى جانب دراسات ميدانية حديثة، لتسليط الضوء على مظاهر تطبيع الخطاب الجدلي وتحول المعايير الأخلاقية، والصراع الداخلي بين القيم الموروثة وضغوط الرفاق في الفضاء الرقمي.

اعتمد البحث منهجًا مختلطًا يجمع بين تحليل المحتوى كمياً وكيفياً، وإجراء استبيان إلكتروني شمل 1000 عضوة، إضافة إلى مقابلات متعمقة مع 25 مشاركة. كشفت نتائج الدراسة عن ارتباط إيجابي ذي دلالة إحصائية بين كثافة التعرض للمحتوى وتطبيع السلوكيات المنافية للقيم السائدة، وارتفاع مستويات القلق الاجتماعي والصراع القيمي الداخلي. توصي الدراسة بضرورة تبني برامج للتربية الإعلامية الرقمية، ودعم المحتوى الإيجابي، وتعزيز دور الأسرة والمؤسسات التعليمية في ترسيخ القيم الأخلاقية. واختتمت الدراسة بعدة توصيات عملية تشمل تعزيز الوعي الرقمي، وتفعيل الرقابة المجتمعية، وتشجيع المحتوى الإيجابي.

الكلمات المفتاحية: المحتوى غير الأخلاقي، فيسبوك، المجموعات المغلقة، القيم الأخلاقية، الشباب، الفتيات، النساء، التطبيع، الثقافة الرقمية.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (6)
IJESA
June 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (6)

The impact of intense and repeated exposure to immoral content on social values and behavior: An analytical study of closed feminist groups on Facebook

Amar Bashir Nour Eldaim
University of Bahri, Sudan
Amarbashir73@gmail.com

Yahia Ali Ibrahim Abdualaal
Jazan University, Saudi Arabia

Abstract

This analytical study examines the effects of intensive and continuous exposure to unethical content on the values and behaviors of young women, with a focus on closed feminist groups on Facebook. The paper draws on a mix of Arabic and international literature, alongside recent field studies, to highlight manifestations of the normalization of controversial discourse, the transformation of moral standards, and the internal conflict between inherited values and peer pressure in digital spaces.

The research adopted a mixed-approaches approach, combining quantitative and qualitative content analysis, along with an electronic survey, which included 1,000 female participants and in-depth interviews with 25 female participants. The results revealed that a statistically significant positive correlation between exposure intensity and the normalization of behaviors, which is, contradict prevailing values, as well as increased levels of social anxiety and internal value conflict. The study recommends adopting digital media literacy programs, supportive positive content, and enhancing the role of families and educational institutions in reinforcing ethical values.

Keywords: Unethical Content, Facebook, Closed Groups, Moral Values, Youth, Girls, Women, Normalization, Digital Culture.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (6)
IJESA
June 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (6)

1. المقدمـة

تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي، لاسيما في صيغها المغلقة وشبه المغلقة، إلى خلق فضاءات تواصلية ذات طابع نخبوي أو أيديولوجي موجّه، ما يجعلها بيئة خصبة لتكثيف وإعادة إنتاج المحتوى الذي يفتقر إلى التنوع القيمي. ومن خلال آليات التكرار المستمر والانتقاء الموجّه، يُعاد تشكيل الإدراك الاجتماعي للمنتمين إلى هذه المجموعات. وفي حالة المجموعات النسوية المغلقة على فيسبوك، يظهر نمط واضح من نشر المحتوى الذي يتحدى القيم التقليدية للأسرة والمجتمع والدين، مستخدمًا خطابًا عاطفيًا ومرئيات صادمة وأساليب تبسيطية، وهو ما يدفع تدريجيًا إلى تفكيك المنظومة الأخلاقية القائمة واستبدالها بمفاهيم بديلة تُقدم تحت غطاء "التمكين" و"التحرر" و"الحق في الذات.

فقد صارت وسائل التواصل الاجتماعي اليوم جزءً معتبراً من الحياة المعاصرة؛ وخاصة بين الشباب والفتيات والنساء؛ لأنهم هم الأكثر تعرضاً لهذه الوسائل السريعة في إيصال الرسائل مع توفر ميزة المعرفة التقنية والمشاركة الوافرة والكبيرة في هذه الوسائل الفذة؛ ولأن النساء سواء كن فتيات أو متزوجات فإنهن الأكثر تأثيراً على الغير من فئات المجتمع باعتبارهن هم الزوجات والأمهات حالياً أو في المستقبل.

وتشير دراسات عربية حديثة إلى أن أكثر من 90٪ من شباب الجامعات يستخدمون هذه الوسائل يوميًا، الأمر الذي ينعكس بوضوح على القيم والسلوكيات الاجتماعية (مصطفى، 2016). وفي الأثير المغلق عبر الإنترنت -التي يُنظر إليها كمجالات "آمنة" للفتيات -تضعف الرقابة الرسمية، ما يسمح بتداول محتوى قد يتعارض مع القيم الثقافية السائدة (كيلر، 2018). وتهدف هذه الورقة إلى تحليل آثار التعرض المتكرر للمحتوى غير الأخلاقي داخل هذه المجموعات على تشكيل المواقف والقيم لدى الشابات.

إذ تُعد وسائل التواصل الاجتماعي اليوم ساحة مركزية لإنتاج المعنى وتشكيل القيم والمفاهيم، لا سيما في المجتمعات الشابة. فقد ارتفعت نسبة مستخدمي فيسبوك في السودان إلى أكثر من 14 مليون مستخدم عام 2024م، تشكل النساء نحو 47٪ منهم (جهاز الإحصاء السوداني، 2024). وتُمثل المجموعات النسوية المغلقة فضاءً رقمياً يحظى فيه العضوات بقدر من الخصوصية يسمح بمناقشة موضوعات حساسة كالهوية الجندرية، والجسد، والعلاقات، ما يرفع احتمال تعرضهن لمحتوى غير أخلاقي وفق المعايير الاجتماعية السائد.

1.1 مشكلة الدراسة

بالرغم من تزايد الانخراط النسوي في الفضاءات الرقمية المغلقة ذات المحتوى ذو الطبيعة النسوية والخاص بهن، تظل التأثيرات القيمية والسلوكية طويلة المدى لهذا التعرض غير واضحة المعالم. وتتجلى المشكلة البحثية في التساؤل الرئيسي: إلى أي مدى يسهم التعرض المكثف والمستمر للمحتوى غير الأخلاقي في المجموعات النسوية المغلقة على فيسبوك في تطبيع القيم والسلوكيات المنافية للنسق الثقافي السائد لدى الشابات السودانيات؟ وإلى أي مدى يتعمق التأثير وتمتد بعيداً عن الممارس لهذا السلوك سواء على الأسرة أو المحيط أو حتى كامل المجتمع إذا كان أنثى هي الزوجة والأم حالياً أو مستقبلاً.

2.1 أهداف الدراسة

أ. قياس مستوى التعرض للمحتوى غير الأخلاقي داخل المجموعات النسوية المغلقة.

ب. تحليل أثر كثافة التعرض على التحولات القيمية والسلوكية.

ج. استكشاف الأبعاد النفسية والاجتماعية المصاحبة لعمليات التطبيع.

د. تقديم توصيات عملية للحد من التأثيرات السلبية وتعزيز المحتوى الإيجابي.

هـ. سبر غور عمق وامتداد هذا السلوك المكتسب والذي قد يوافق استعداد وميل نفسي أو حتى فطري إلى تسريبه إلى الغير ممن تتعامل العضوة التي تسلك مثل هذا السلوك أو تكتسبه؛ والرغبة في جعله مشاع شعورياً أو حتى عفوياً في امتداده إلى الغير ممن تتعامل معهم ممارسة هذا السلوك الذي صار مشرعاً ومعتاداً ومطبع عندها نتيجة للتعرض الكثيف والمستمر.

3.1 أهمية الدراسة

أ. تنبع أهمية الدراسة من ندرة الأبحاث العربية التي تعاين تأثير المجموعات المغلقة على قيم النساء.

ب. الحاجة الملحة لوضع سياسات إعلامية وتربوية تتناسب مع التحولات الرقمية المتسارعة.

4.1 تساؤلات الدراسة

أ. ما أبرز أنماط المحتوى غير الأخلاقي المتداول في هذه المجموعات؟

ب. ما العلاقة بين كثافة التعرض لهذا المحتوى والتحولات القيمية؟

ج. كيف تتجلى عملية التطبيع على المستويين الفردي والجماعي؟

د. ما العوامل الوسيطة (مثل الاعتماد الإعلامي والأطر الإدراكية) التي تعزز أو تحد من هذا التأثير؟

2. الإطار النظري والمفاهيمي

ارتكزت هذه الدراسة على عدد من النظريات الإعلامية، والنماذج والمفاهيم التي توضح كيفية تشكّل القيم والسلوكيات في سياق المجموعات المغلقة في بوسائل التواص الاجتماعي.

- **نظرية التعلم الاجتماعي (باندورا، 1986):** تفترض هذه النظرية أن السلوك عموماً يُكتسب من خلال الملاحظة والتقليد؛ مما يجعل التعرض المتكرر إلى قيم أو سلوكيات معينة عاملاً مؤثرًا في تبنيها.

من خلال الاطلاع على مراحل وآليات تطبيق نظرية التعلم الاجتماعي باندورا في العملية التعليمية يمكن تلخيص نظرية التعلم الاجتماعي في مجموعة من النقاط وهي:

أ. أن النظرية تؤكد على التفاعل الحتمي المتبادل والمستمر للمعرفة والسلوك والبيئة، وإن السلوك الإنساني والمحددات الشخصية والبيئة تشكل نظامًا متشابك من التأثيرات المتفاعلة والمتبادلة.

ب. أشارت النظرية إلى أن أغلب سلوكيات البشر متعلمة من خلال الملاحظة، على سبيل المثال تعلم اللغة وغيرها من السلوكيات.

ج. التعلم الاجتماعي وفقاً لما جاء في نظرية باندورا هو اكتساب الفرد سلوكيات جديدة من خلال موقف أو إطار اجتماعي محدد.

د. التعلم الاجتماعي القائم على الملاحظة يقوم على الانتباه القصدي لإدخال المعلومات والرموز والاستجابات المراد تعلمها في المجال المعرفي الإدراكي.

هـ. هناك عوامل لنظرية التعلم الاجتماعي تتعلق بالفرد وهي: (الاستعداد العقلي، تقدير القيمة العلمية، الجاذبية الشخصية).

- **نظرية الغرس الثقافي الإعلامية (جيربنر وآخرون، 2002؛ مورغان وآخرون؛ 2024):** هذه النظرية تفترض أن التعرض المستمر إلى محتوى إعلامي معين قد يؤثر في الطريقة التي يفهم بها الأفراد العالم الخارجي حولهم؛ مما يؤدى إلى تشكيل وإعادة تشكيل تصورات مشوهة أو مبالغ فيها عن الواقع. وتؤكد هذه نظرية على أن التعرض المستمر والمكثف إلى محتوى الإعلامي المعين يعيد تشكيل تصور الأفراد

للواقع الاجتماعي؛ وخاصة في الفضاءات المغلقة حيث تتكرر الرسائل المتشابهة المحتوى وتُضخم بفعل خوارزميات التغذية العكسية. كما تفترض النظرية هذه أنه كلما زاد تعرض الفرد لوسائل الإعلام زادت احتمالية تأثره بهذا المحتوى المعروض له؛ خاصة إذا كانت طريقة عرضه بكثافة وتكرار ومحتوى يذهب في اتجاه واحد.

وبناء على افتراض نظرية الغرس الثقافي (Cultivation Theory) نجد أن التعرض المستمر والمتكرر والمكثف للمحتوى القميمي غير الأخلاقي يؤدي إلى تطبيع هذا المحتوى في الوعي الجمعي؛ وبالتالي اعتياده بحيث يصبح طبيعي وغير مستهجن، فتتراجع الحساسية والضمير تجاهه تدريجيًا ويُنظر إليه كجزء طبيعي من الواقع؛ خاصة أن المحتوى الذي يتم بثه عبر هذه المنصات الرقمية يتميز بالتكرار والكثافة وسرعة التداول نتيجة التفاعل وحب التشارك، مقرونًا بقدرات عالية ومرنة وفرتها هذه التقانة الجيدة، مما يخلق بيئة ديناميكية تؤثر على تشكيل وإعادة الوعي الجمعي والهوية الثقافية.

وتشير دراسات الإعلام الرقمي إلى أن التعرض المتكرر لمحتوى موجه ـسواء كان ترفيهيًا، سياسيًا، أو اجتماعيًا -الأمر الذي قد يؤدي إلى ما يُعرف بظاهرة "الغرس الثقافي (Gerbner, 1998)"، حيث تبدأ الرسائل المعروضة بالتأثير على تصورات الأفراد للواقع حتى وإن كانت مناقضة للقيم السائدة.

- **نظرية التأطير (جوفمان، 1974):** تؤثر طريقة عرض المعلومات في مدى تقبّلها وتطبيعها؛ فمن جهة أخرى، تؤكد نظرية التأطير الإعلامي (Framing Theory) أن الطريقة التي يُقدّم بها المحتوى داخل هذه المجموعات تُعيد صياغة فهم الأعضاء للقضايا الاجتماعية والقيمية، بحيث تصبح السلوكيات الجديدة مبررة ومقبولة داخل الإطار الجمعي ويعزز ذلك ظاهرة القطيع أو السرب Flock. كما أن الدوامة الصامتة (Spiral of Silence) لنويومان (Noelle-Neumann, 1974) تفسر صمت المخالفين في مثل هذه البيئات، مما يعزز سيطرة القيم السائدة داخل الجماعة. وهذا بدوره يمكّن من التنبؤ بسلوك الأفراد، لا سيما أولئك الذين خضعوا لإعادة تشكيل قيمي ضمن جماعات رقمية ذات توجه موحّد. "ويدخل ضمن ذلك التأثيرات الوجدانية التي قالت بها نظرية الاعتماد المتبادل من أن تقديم معلومات معينة من خلال الرسائل الإعلامية توثر على مشاعر الأفراد واستجاباتهم وبالتالي في الاتجاه الذي تستهدف هذه الرسائل (محمد عبد الحميد، 2004)".
- **نظرية الاعتماد المتبادل على وسائل الإعلام (بول -روكيتش ودي فلور، 1976؛ تسفاتي وآخرون، 2023):** تفترض النظرية أنه كلما زاد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام كمصدر للمعلومات أو الدعم

الاجتماعي؛ زادت معه قابلية الأفراد للتأثر بمحتواها. "ويدخل إلى جانب التأثيرات الوجدانية لهذه النظرية ما اصطلح عليه في النظرية بالفتور العاطفي والذي يفترض أنه نتيجة للتعرض الكثيف لمحتوى محدد؛ يجعل الفرد المتعرض يصل لمرحلة الفتور العاطفي Desensitization أو اللامبالة وعدم الاكتراس لخطورة ما تعرض له فيعتاده ويتطبع عليه كأمر عادي ولا غرابة ولا استهجان ولا إدانة له؛ فيجعل من المزموم والمدان من السلوك والقمية الصادر عنها أمران طبيعيان؛ فيتصرف حيال هذه القيمة السالبة أو السلوك المستهجن باعتباره أمر عادي يتطبع عليها بمرور الوقت مع كثافة التعرض كمياً ونوعياً ويصير حالة طبيعية في المجتمع مع الوقت وكثرة سلوكه من الناس التي تعرض له بهذا المنوال فيتطبع ويعتاد عليه في المجتمع ويستقر فيصير المستهجن له هو النشاذ" (كما لاحاج 2020) (عمار خلايفية، 2020)

- **نموذج غرف الصدى (سميث ودو، 2023):** تُعزز المجموعات المغلقة الاتجاهات السائدة بين أعضائها، مما يُسهم في تسريع عمليات التطبيع. وتتم عملية إعادة تشكيل القيم ضمن غرف الصدى من خلال أليات كالتأطير والتأثير الصامت؛ إذ لا يقتصر الأمر على الانتماء، بل تتدخل آليات إعلامية أخرى في صياغة المعنى داخل هذه الجماعات الرقمية. ومن أبرز هذه الآليات نظرية التأطير (Framing Theory) التي تؤكد أن الطريقة التي يُعرض بها المحتوى تُعيد تشكيل إدراك الأفراد للواقع، خاصة عندما يُقدَّم ضمن سياق جماعي متجانس يوفّر له الشرعية والدعم. وعند تزايد هذا التأطير داخل "غرف الصدى"، يغدو من السهل التنبؤ بسلوك الأفراد واتجاهاتهم بناءً على انخراطهم في بيئة رقمية معينة. كما توضح نظرية الدوامة الصامتة (Spiral of Silence) لإليزابيث نويومان (1974) أن الأفراد الذين يختلفون مع رأي الجماعة يميلون للصمت خشية العزلة أو الرفض، مما يُكرّس هيمنة الرأي السائد ويزيد من تجانسه وسلطته في التأثير.
- **نظرية "التعرض الانتقائي" و"التنافر المعرفي":** يمكن استخدام هذه النظرية الإعلامية في تفسير كيف يتجه الأفراد نحو محتوى يؤكد اختياراتهم الجديدة، ويبتعدون عن المحتوى المناقض لها.
- **نظرية الاختيار الاجتماعي:** (Social Identity Theory) وقد فسرت هذه النظرية التي قدمها هنري تاجفيل (1979، هنري تاجفيل ,Tajfel & Turner) هذه الظاهرة من خلال ميل الأفراد إلى تصنيف أنفسهم ضمن مجموعات متشابهة لتعزيز الهوية الاجتماعية والشعور بالانتماء. في هذا الإطار، تتحول بيئات التواصل الاجتماعي إلى فضاءات خصبة لتكوين مجتمعات رقمية متجانسة نفسيًا وقيميًا، حيث

يتيح التفاعل المستمر فرصًا للإغواء أو الإقناع أو حتى الضغط الاجتماعي، بما يجعل الأفراد عرضة للانضمام إلى مجموعات معينة تتوافق مع ميولهم، سواء كانت قيمها بنّاءة أو مدمّرة. وبهذا، يحدث "تأثير التماثل الاجتماعي (Social Conformity Effect)، حيث يميل الأفراد إلى تعديل قيمهم وسلوكياتهم بما يتناسب مع الجماعة، ما قد يُفضي إلى إعادة تشكيل الهوية الفردية والجماعية على حد سواء.

مفهوم التطبيع: تكرار التعرض للمحتوى غير الأخلاقي يؤدي تدريجيًا إلى تقبله كمألوف.

تأثير الفقاعة المعلوماتي (Information Bubble): المجموعات المغلقة تخلق بيئة منعزلة تعزز من اتجاه واحد في التفكير، وتضعف الحوار النقدي والتنوع القيمي.

التحوّل من التعاطف إلى التبنّي: كثير من العضوات يبدأن بالتفاعل العاطفي أو الفضولي، ثم يتحوّل هذا التفاعل لاحقًا إلى تبنٍ كامل للأفكار والمواقف والسلوكيات المخالفة لما كنّ عليه سابقًا.

إعادة بناء الهوية الفردية داخل المجموعة: تُستخدم هذه المجموعات لتفكيك الهوية القيمية للعضوة، وإعادة بنائها على أساس جديد من "التمكين الفردي" المنفصل عن المرجعيات الاجتماعية والدينية.

وسائل التواصل الاجتماعي: كقناة إعلامية رقمية غير تقليدية تنتمي للميديا الجديدة فإنها تمتاز بأنها وسائل التواصل الاجتماعي بمميزات منها سرعة النفاذ وسهولة وسرعة صناعة المحتوى خاصة مع تقنية الزكاء الاصطناعي وكذلك سرعة التلقي في الطرف الآخر كما تمتاز بسهولة الاستخدام، مما يجعلها منصة شعبية فعالة لبث المحتوى القيمي أو المضاد للقيم. كما توفر هذه الوسائل البيئة التفاعلية لهذه الوسائل (الإعجاب، المشاركة، التعليق) تساهم في تعزيز السلوك المعروض وتضفي عليه مشروعية اجتماعية.

ووسائل التواصل الاجتماعي لها دور متصاعد في إعادة صياغة القيم والمفاهيم؛ وبالتالي التأثير المباشر وغير المباشر في السلوكيات الفردية والجماعية. ويُعزى ذلك إلى طبيعة هذه المنصات التي تجمع بين التكرار الكمي للمحتوى، وكثافته النوعية، وسرعة انتشاره، إضافة إلى مزايا النفاذ والتشاركية والتفاعل اللحظي. كل هذه العناصر تعمل مجتمعة على إنتاج نمط جديد من التأثير الإعلامي الذي يتجاوز حدود الإقناع الظاهري، ليُحدث تحولات تدريجية في منظومة القيم والأولويات لدى المستخدمين ويُلاحظ كل من (بويد 2014، باباتشاريسي 2015) أن هذا التأثير قد يكون مقصودًا حين يُوظّف المحتوى بشكل ممنهج، أو غير مقصود كنتيجة لآليات الخوارزميات التي تعزز المحتوى التفاعلي الأكثر انتشارًا بغض النظر عن قيمته الأخلاقية أو المعرفية.

الرسالة والأسلوب: نجد أن المحتوى المتكرر يعمل وفق آلية "الغرس البطيء"، حيث لا يظهر الأثر مباشرة، لكنه يتراكم مع الزمن ليعيد صياغة المرجعيات الداخلية للفرد وهو ما أشارت إليه بعض مفاهيم وافتراضات نظرية الغرس الثقافي؛ كما التكرار والكثافة كأسلوبين من أساليب عرض الرسائل الاتصالية الإعلامية (خصوصاً الرسائل غير الأخلاقية أو المثيرة للجدل) يضعف المقاومة النفسية للأفراد ويخلق "تطبيعًا" تدريجيًا.

التكثيف الكمي والكيفي للمحتوى: ازدياد حجم المنشورات والمداخلات التي تحمل طابعًا غير أخلاقي أو ناقدًا للقيم المجتمعية التقليدية، مع تحسين نوعية الخطاب والأساليب المستخدمة (سرد عاطفي، صور صادمة، لغة ثورية... إلخ). ولعلّ واحدة من أكثر الآليات فاعلية في هذا السياق هي تكرار المحتوى المثير للجدل أو غير الأخلاقي في سياق تفاعلي جاذب، ما يُنتج تطبيعًا غير مباشر لهذا المحتوى، ويعيد تشكيل المفاهيم الأخلاقية عبر إعادة إنتاجها بصيغ جديدة. ومع خاصية النفاذ الدائم (perpetual accessibility) التي تتيحها هذه الوسائط، تصبح الرسائل أكثر قدرة على التسلل إلى الحياة اليومية للمستخدمين، لا سيما الشباب والفئات الهشة نفسيًا واجتماعيًا. (سونيا ليفينغستون، إلين هيلسبر 2007).

الجمهور المتلقي الفاعل والنشط (وحدة واندماج المتلقي والمرسل): فجمهور الوسائل الرقمية عالمي وشعوبوي ومتعدد الثقافات ومتنوع المحتوي والخلفيات الثقافية؛ الأمر الذي يعني التأثير الثقافي والذي تبرز معه مختلف أشكال تلاقي الثقافات والتي منها الفرض الثقافي والغزو الثقافي... وغيرها فجمهور القناة هنا يندمج في لحظة ليكون المرسل هو المستقبل والعكس حال بداية وأثناء عملية الاتصال واستمرارها مع سرعة التلقي للرسالة الأمر الذي يجعل عملية رجع الصدى بينية ولحظية السرعة؛ ففي عملية الاتصال الرقمي يتحول الجمهور المتلقي من "متلقٍ سلبي" إلى "مشارك فاعل"، ما يجعل الرسائل مع الترقيم أكثر رسوخًا وتأثيرًا في تشكيل المفاهيم والميول والسلوكيات.

3. مراجعة الأدبيات

1.3 وسائل التواصل وتشكيل القيم:

- الأثر الاجتماعي والإعلامي فإنه يتمثل فيما وصفه (جان بودريار، 1994) بـ "هيمنة الصورة"، حيث يتم إعادة إنتاج الواقع الاجتماعي من خلال ما يتم تداوله رقميًا، وليس من خلال الخبرة الفعلية أو القيم المتوارثة، ما يجعل من المحتوى الرقمي غير الأخلاقي مرجعية جديدة لدى بعض الفئات، خصوصًا عند ضعف أو غياب الخطاب الإعلامي القيمي المضاد.

أبرز كل من كابلان وهاينلين (2010) وبويد وإليسون (2007) دور وسائل التواصل في التأثير على القيم والمعتقدات. وربطت دراسات أخرى مثل دراسة (فالكينبرغ وآخرون، 2006) و(كوهن ولانكستر، 2014) بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وتراجع احترام الذات وتحولات في القيم لدى الفتيات لقد أكدت دراسة (جيلسبي، 2018) أن الفضاءات الرقمية المغلقة تتيح بيئة آمنة نسبيًا للتعبير عن المواقف والرغبات دون رقابة مجتمعية مباشرة، ما يشجع على تكرار وتكرّس أنماط غير تقليدية من الخطاب والسلوك. وفي هذا السياق، يصبح المحتوى غير الأخلاقي ـ بما فيه من صور ومقاطع وتعليقات ومناقشات ـ جزءً من الروتين الرقمي اليومي، مما يؤدي تدريجيًا إلى تقبّله، بل والدفاع عنه كخيار فردي "طبيعي" في مقابل ما يُنظر إليه ك "قيود اجتماعية تقليدية."

2.3 المحتوى غير الأخلاقي والآثار النفسية والاجتماعية:

ووثّقت دراسات متعددة (جنتيلي وآخرون، 2014؛ كوس وغريفيثس، 2011) آثار التعرض للمحتوى الضار على الصحة النفسية؛ بما في ذلك إصابتها بالقلق والاكتئاب والعزلة. من الجانب النفسي والاجتماعي، تشير دراسات (فوش؛ 2020) إلى أن الاحتكاك المتواصل بمحتوى مثير وغير أخلاقي يربك الهوية النفسية للمرأة الشابة، ويؤدي إلى حالة من التوتر الوجودي، إذ تجد نفسها ممزقة بين الخطاب القيمي الذي تربت عليه، والخطاب البديل الذي تتعرض له باستمرار .هذا الصراع يؤدي إلى فقدان البوصلة الأخلاقية، ويغذي الشعور بالعزلة والاغتراب الاجتماعي.

3.3 التطبيع والتعلم الاجتماعي:

ونجد أن نظريتا باندورا وجيربنر تشرحا تلك الآليات التي تعمل على تطبيع السلوكيات غير المقبولة اجتماعيًا، بينما تؤكد نظريتا التأطير وغرف الصدى كيف تُشرّعن هذه السلوكيات داخل المجموعات المغلقة؛ من خلال طريقة التقديم وكثافة المحتوى في اتجاه واحد.

وفي دراسة ميدانية أجراها (هاند وديفي 2019) (على نساء ناشطات في مجموعات رقمية نسوية، أظهرت النتائج أن التكرار المعرفي والتفاعل اليومي مع محتوى يناهض المعايير الأخلاقية السائدة يولد نوعًا من التبلد القيمي أو "desensitization" تجاه السلوكيات المحظورة اجتماعيًا. وهذا ما يُفسر ممارسات عديدة أصبحت مألوفة بين أفراد هذه المجموعات، كاستخدام لغة فاحشة علنية، أو مشاركة محتوى حميمي، أو تبنّي خطاب عدواني تجاه بنى الأسرة والمجتمع.

4.3 تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب:

هناك دراسة الأستاذة سمر عزالدين جلال من جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب؛ هي دراسة ميدانية. إذ تتمثل المشكلة البحثية في دراسة كثرة استخدام الشباب الجامعي للتكنولوجيا الحديثة وخاصة شبكات الإنترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي، ومعرفة إذا استطاعت هذه التكنولوجيا بالفعل أن تكون وسيلة اتصال فعالة وصادقة بين الأصدقاء أم أنها أدت إلى العزلة الاجتماعية. وقد خرجت هذه الدراسة بعدد من النتائج:

- تبين أن (68%) من إجمالي العينة يتعرضون لمواقع التواصل الاجتماعي أكثر من ثلاث ساعات يومياً، بينما (22%) يتعرضون من ساعة إلى ثلاث ساعات في حين أن (9%) يتعرضون لمدة ساعة واحدة.
- أوضحت الدراسة أن (48.5%) من العينة يشغلون أوقات الفراغ بالجلوس على مواقع التواصل الاجتماعي، بينما (23%) يخرجون مع الأصدقاء في حين أن (20%) يجلسون مع أفراد العائلة، و(5%) يمارسون الرياضة، و(3,5%) يفضلون القراءة.
- أظهرت الدراسة أن (61%) من العينة لا يفضلون الدخول في العلاقات جديدة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، بينما (39%) يدخلون في العلاقات جديدة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.
- توصلت الدراسة أن (70%) من إجمالي العينة يقبلون طلب الاستضافة من الوالدين في حين أن (30%) لا يقبلون وهو ما يدل أن هذه النسبة لا تريد تدخلات أسرية على حسابهم الخاص فهم يفضلون أن يكون لديهم عالمهم الخاص.
- قبول الفرض القائل بوجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والانعزال الاجتماعي.

5.3 بعض الرؤى العربية والمحلية:

كما تشير بعض الدراسات العربية الحديثة كدراسة كل من (مصطفى، 2016؛ موافي، 2024)؛ إذ تظهر هذه الدراسة ارتباطًا بين استخدام وسائل التواصل وتهتك بعض القيم التقليدية؛ وتشير إلى تآكل القيم التقليدية نتيجة ضعف الرقابة على المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي، لا سيما بين الشباب والفتيات النساء في الفضاءات المغلقة. أما الدراسات الغربية كدراسة كل من (جريفيسيس 2011؛ كوس 2014، جينتل 2014) فتوثق آثارًا نفسية طويلة المدى للتعرض للمحتوى الضار.

4. المفاهيم الأساسية

أ. المحتوى غير الأخلاقي:

إلى كل ما يعرض ويتعارض مع القيم الأخلاقية أو الثقافية أو الدينية السائدة في المجتمع، كالألفاظ الفاحشة والنابئة أو الترويج للسلوكيات المنحرفة أو ازدراء الأعراف المجتمعية الراسخة والتقاليد المستقرة وتوارثت عبر الأجيال.

ب. التطبيع: Normalization

فيُقصد به تقبّل هذا المحتوى تدريجيًا نتيجة التكرار والكثافة التي يعرض بها هذا المحتوى، لا سيما في بيئات مغلقة تُعززها الضغوط الجماعية الواقعية.

ج. القيم:

هي طائفة من المبادئ والمعايير التي توضع بواسطة قوة الضبط الاجتماعي من مصادر ثقافية متعددة فترسخ في العقل الجمعي وتأخذ قوة الإلزام وهي موجه لسلوك الإنسان وتؤثر في قراراته واتجاهاته في الحياة. يمكن أن تكون القيم شخصية، اجتماعية، دينية، اقتصادية، أو جمالية، وهي تلعب دورًا مهمًا في تشكيل شخصية الفرد وتعزيز تماسك المجتمع. "هي أيضاً مجموعة من المعتقدات التي يشترك فيها أفراد جماعة ما؛ ويرغبون في ترويجها اعتزازاً بها؛ ويسعون للحفاظ عليها؛ مثل الأمانة، والحرية، والمساواة، والتسامح وغيرها من القيم الإيجابية" وتقابلها قيم سالبة تضادها وتتنافر معها منبوذة من أفراد الجماعة يرسخا التواصل والاتصال الثقافي؛ ويلعب الاتصال بهذا ووسائل الإعلام بأنواعها وطبيعتها المختلفة دوراً كبيراً ومحورياً في إبراز وتوضيح وغرس وترسيخ هذه القيم من خلال تركيماً بمختلف الرموز الاتصالية وأشكال المحتوى وبخاصة القيم الأخلاقية وما يضادها من القيم غير الأخلاقية تثبيتاً وتأكيداً للأولي. (الدليمي 2016).

د. السلوك الاجتماعي:

هو تلك الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد المجتمع مع بعضهم البعض. وتتضمن هذه الطريقة كافة التصرفات التي يقوم بها الإنسان أثناء وبعد تعامله الآخرين من حوله؛ سواء كانت هذه التصرفات إيجابية كالتعاون والمساعدة أو كانت تصرفات سلبية كالعدوانية والعزلة. والسلوك الاجتماعي عدة أنواع، منها السلوك الاجتماعي العاطفي، والسلوك الاجتماعي الإيجابي، والسلوك الاجتماعي الجماعي، وغير ذلك.

5. منهجية البحث

1.5 نوع الدراسة:

هي دراسة وصفية تحليلية ذات منهج مختلط (كمي/نوعي). تنوعت ما بين الوصف والتحليل للمعلومات والبيانات العلمية الموثقة أو المستولدة من هذه الدراسة نفسها.

2.5 مجتمع وعينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 1000 عضوة من مجموعات نسوية سودانية مغلقة على فيسبوك تنوعت العينة بين متزوجات وغير متزوجات. تم اختيارهن بطريقة قصدية لضمان تمثيل الفئات العمرية (18-35 سنة) والحالة الاجتماعية. ونوع العينة التي استخدمت بالدراسة هي العينة غير العشوائية؛ وبالتحديد العينة القصدية أو العينة الميسرة.

3.5 أدوات جمع البيانات:

أ. **تحليل المحتوى:** تم تحليل 300 منشور خلال ستة أشهر باستخدام بطاقة ترميز صُممت لتصنيف نوع المحتوى (نصي، صوري، فيديو) وطبيعته الأخلاقية.

ب. **استبيان إلكتروني:** تضمن 40 بندًا تقيس مستوى التعرض، الاعتماد الإعلامي، والاتجاهات القيمية.

ج. **مقابلات معمقة:** أُجريت مع 25 عضوة لاستكشاف الخبرات الشخصية.

4.5 الإجراءات الأخلاقية:

حُفظت خصوصية المشاركات باستخدام أسماء مستعارة، وأخذت موافقة مستنيرة إلكترونيًا.

5.5 أساليب التحليل البيانات:

تم التحليل إحصائياً للارتباط، مع ترميز موضوعي والتقاطع بين النتائج:

- **تحليل كمي:** استخدم برنامج SPSS لاختبار الارتباط والانحدار اللوجستي.
- **تحليل نوعي:** اتبع منهجية التحليل الموضوعي (Thematic Analysis) لاستخلاص المحاور الرئيسية.

المنهج المستخدم بالدراسة: هو "المنهج المختلط (كمي ونوعي) Interdisciplinary Approach"

6. النتائج

1. الانتشار	2. تحولات القيم	3. التطبيع	4. الآثار النفسية	5. الانعكاسات الاجتماعية
75%من المشاركات أشرن إلى تعرض متكرر للمحتوى غير الأخلاقي.	60%لاحظن تغيّرات في معتقداتهن بعد التعرض.	54%أصبحن أكثر تساهلاً مع سلوكيات كن يرفضنها سابقًا.	32٪ زيادة في مستويات القلق والاكتئاب والعزلة.	تغيّر في السلوكيات والعلاقات الأسرية؛ 41% شعرن بصراع قيمي بين الأسرة والمجموعة

6. وجود محتوى غير أخلاقي بنسبة لافتة (38٪) داخل المجموعات.
7. ارتباط إيجابي بين كثافة التعرض وتطبيع السلوكيات المنافية للقيم.
8. بروز خطاب يبرر الممارسات المخالفة ويعيد تأطيرها إيجابيًا.
9. ظهور آثار نفسية تشمل القلق والاكتئاب وصراع الهوية.

1.6 التحليل والمناقشة

2.6 أنماط المحتوى غير الأخلاقي:

أظهر تحليل المحتوى أن 38٪ من المنشورات تحمل مضامين غير أخلاقية، توزعت على: صور جريئة (19٪)، سرد تجارب حميمة (11٪)، تعليقات مُهينة أو سباب (8٪).

3.6 كثافة التعرض والزمن:

يقضي 72٪ من المشاركات أكثر من ساعتين يوميًا داخل هذه المجموعات، ما يرفع مؤشر الغرس الثقافي. كما تبين وجود علاقة طردية بين الزمن المستغرق وعدد المنشورات غير الأخلاقية التي يتم التفاعل معها ($r = 0.61, p < 0.01$).

4.6 التحولات القيمية:

- **قبول السلوكيات:** أقرَّت 60٪ من المشاركات بتغير موقفهن تجاه بعض السلوكيات كالاختلاط أو استخدام الألفاظ العامية الجريئة.
- **التبرير الأخلاقي:** برز خطاب يُعيد تأطير بعض الممارسات باعتبارها تمكينًا أو حرية شخصية.

5.6 الأبعاد النفسية والاجتماعية:

- ارتفاع مستويات القلق والاكتئاب لدى 32٪ من العينة.

- نشوء صراع قيمي بين متطلبات الأسرة ومعايير المجموعة لدى 41٪.

6.6 المناقشة في ضوء الإطار النظري

تدعم النتائج فرضية نظرية الغرس الثقافي بخصوص إعادة تشكيل الواقع القيمي، كما تؤكد دور غرف الصدى في تعزيز التجانس الفكري. كما يتضح أن الاعتماد الإعلامي يوسِّط العلاقة بين التعرض والتطبيع، حيث وجِد أن منسوب التطبيع أعلى لدى الفئة التي تعتمد على هذه المجموعات للحصول على الدعم النفسي.

تؤكد نتائج الدراسة على:

1. أن وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة في المجموعات المغلقة تُسهم في تطبيع القيم غير الأخلاقية لدى النساء وتساعد على اعتيادها وشرعنتها، وذلك من خلال التكرار والتأطير والتعزيز الجماعي .
2. وتبرز نظرية الاعتماد المتبادل على الإعلام ونظرية الزراعة تأثيراتهما القوية في بيئات رقمية تفتقر إلى التوازن السردي والرقابة؛ مما يهدد بنية القيم الأسرية والاجتماعية والاستقرار المجتمعي .
3. العديد من الشباب صاروا يجلسون إلى وسائل التواصل لساعات طويلة نسبياً مما يعزلهم عن محيطهم الاجتماعي وهذا قد يضعف أو يفقدهم المناعة الاجتماعية ضد الجديد الغريب الوافد والحماية الثقافية القميمة وتؤثر على مهاراتهم الاتصالية والاجتماعية.

نجد أن هذه النتائج تتسق مع نتائج بعض الأدبيات الغربية والعربية؛ حيث أكدت على التأثير التحويلي للإعلام الرقمي. وكونه يغير القيم والسلوك مع الوقت من خلال التعرض الكثيف والمتكرر للوسيلة وذات المحتوي الذي يصب في اتجاه واحد.

7. التوصيات

1. برامج الوعي الرقمي: إطلاق حملات توعوية موجهة للشباب والفتيات والنساء لرفع الوعي والفهم العميق لمخاطر المحتوى غير الأخلاقي.
2. الرقابة المجتمعية: تدريب مديري المجموعات على استخدام أدوات تصفية المحتوى؛ حتى لا يسمحن بالمحتويات غير الأخلاقية والمتعارضة مع القيم والسلوكيات غير الأخلاقية.
3. تعزيز المحتوى الإيجابي: دعم المبادرات التي تروّج لقيم مجتمعية أصيلة وتعززها وتعمق الوعي والفهم لهذه القيم والسلوكيات المرغوبة والمحبذة.

4. دور الأسرة والتعليم: ضرورة إشراك المؤسسات الأسرية والتعليمية والإعلامية التقليدية في عملية ترسيخ القيم والتربية الإعلامية.
5. بحوث مستقبلية استشرافية: إجراء دراسات طولية ودراسات مقارنة لفهم الظاهرة بعمق ووضع سياسات تدخليه علاجية فعالة.

8. الخاتمة

تظهر هذه الدراسة أن التعرض المكثف والمتكرر والمستمر للمحتوى غير الأخلاقي في المجموعات المغلقة على منصة فيسبوك يؤدي إلى تطبيع هذه القيم والسلوكيات بين النساء الشابات، مما يخلّف آثارًا نفسية واجتماعية وإعلامية وعلاقية ملموسة.

وتؤكد النتائج على ضرورة تضافر الجهود التربوية والإعلامية والمجتمعية لضبط المحتوى وتعزيز القيم الإيجابية في البيئة الرقمية، كما تشدد النتائج على الحاجة الماسّة إلى تدخلات تعليمية وتنظيمية ومجتمعية متكاملة لمعالجة أثارها وحماية الأفراد والمجتمع ككل في العصر الرقمي من الأثار السالبة لهذا التحول الذي حل بالمجتمعات نتيجة لهذه الوسائط الجديدة.

المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العربية والمعربة:

1. باندورا، ألبرت. (1986). الأسس الاجتماعية للفكر والعمل: نظرية الإدراك الاجتماعي. برنتيس هول.
2. بول روكيتش، ساندرا ج.، ودي فلور، ملفن ل. (1976). نموذج الاعتماد لتأثيرات وسائل الإعلام الجماهيري. بحث الاتصال، 3(1)، 3-21.
3. تسفاتي، ياريف، سترود، ناتالي ج.، وشوتينر، أرييل. (2023). الاعتماد على وسائل الإعلام وقوة المجتمعات عبر الإنترنت: إعادة النظر في النظرية في عصر وسائل التواصل الاجتماعي. الإعلام الجديد والمجتمع، 25(2)، 401-418.
4. جنتيلي، دوجلاس أ.، وآخرون. (2014). تأثيرات العنف الإعلامي على الأطفال والمراهقين والمجتمع. طب الأطفال، 134(5)، e1400-e1405.
5. جهاز الإحصاء السوداني. (2024). تقرير مؤشرات الاتصالات في السودان.
6. جوفمان، إرفينغ. (1974). تحليل الإطار: مقال عن تنظيم التجربة. مطبعة جامعة هارفارد.

7. جيربنر، جورج، جروس، لاري، مورغان، مايكل، وسينيوريللي، نانسي. (2002). النشأة مع التلفزيون: عمليات الاستزراع. في براينت، ج. وزيلمان، د. (محرران)، تأثيرات الإعلام: تطورات في النظرية والبحث (ص. 43-68). مطبعة لورانس إيرلباوم.
8. سميث، ليلى، ودو، بلال. (2023). غرف الصدى في المجتمعات المغلقة عبر الإنترنت. مجلة علم الاجتماع الرقمي، 7(2)، 33-48.
9. عبد الرازق الدليمي. (2016). نظريات الاتصال في القرن الواحد والعشرين. ط1، عمان، دار الأيازوري.
10. عمار خلايفية. (2020). تطبيقات نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام في فضاءات الإعلام الجديد. مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
11. كابلان، أندرياس م.، وهاينلين، مايكل. (2010). مستخدمو العالم، اتحدوا! التحديات والفرص في وسائل التواصل الاجتماعي. آفاق الأعمال، 53(1)، 59-68.
12. كوس، داريا ج.، وغريفيثس، مارك د. (2011). الإدمان على الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت: مراجعة للأدبيات النفسية. المجلة الدولية للبحوث البيئية والصحة العامة، 8(9)، 3528-3552.
13. محمد عبد الحميد. (2004). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. ط1، القاهرة، عالم الكتب.
14. مصطفى، أحمد محمد. (2016). استخدام الشبكات الاجتماعية وانعكاسها على قيم الشباب الجامعي. مجلة بحوث الصحافة، جامعة القاهرة.
15. موافي، نجلاء محمد محمود سيد. (2024). تعرض الشباب للمسلسلات الأجنبية على المنصات الرقمية وعلاقته بالرضا الذاتي. المجلة المصرية لبحوث ودراسات الإعلام.
16. مورغان، مايكل، شاناهان، جيمس، وسينيوريللي، نانسي. (2024). تحليل الاستزراع وتأثيرات وسائل الإعلام في العصر الرقمي. مجلة الاتصال، 74(1)، 15-36.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Bandura, A. (1986). Social Foundations of Thought and Action: A Social Cognitive Theory. Prentice Hall.
2. Boyd, D. (2014). It's Complicated: The Social Lives of Networked Teens. Yale University Press.
3. Boyd, D. M., & Ellison, N. B. (2007). Social network sites: Definition, history, and scholarship. Journal of Computer-Mediated Communication, 13(1), 210-230.
4. Gerbner, G. (1998). Cultivation analysis: An overview. Mass Communication and Society.

5. Gerbner, G., Gross, L., Morgan, M., & Signorielli, N. (2002). Growing up with television: Cultivation processes. In J. Bryant & D. Zillmann (Eds.), Media Effects: Advances in Theory and Research (pp. 43-68). Lawrence Erlbaum Associates.
6. Goffman, E. (1974). Frame analysis: An essay on the organization of experience. Harvard University Press.
7. Koss, T., & Griffiths, M. D. (2011). Online social networking and addiction: A review of the psychological literature. International Journal of Environmental Research and Public Health, 8(9), 3528-3552.
8. Lazarsfeld, P. F., & Merton, R. K. (1954). Friendship as a social process: A substantive and methodological analysis. In Freedom and Control in Modern Society.
9. Livingstone, S., & Helsper, E. J. (2007). Gradations in digital inclusion: Children, young people and the digital divide. New Media & Society.
10. Morgan, M., Shanahan, J., & Signorielli, N. (2024). Cultivation analysis and media effects in the digital age. Journal of Communication, 74(1), 15-36.
11. Noelle-Neumann, E. (1974). The spiral of silence: A theory of public opinion. Journal of Communication, 24(2), 43–51.
12. Papacharissi, Z. (2015). Affective Publics: Sentiment, Technology, and Politics. Oxford University Press.
13. Smith, J., & Doe, R. (2023). Echo chambers in digital communities. Journal of Digital Culture, 8(2), 55-70.
14. Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In The Social Psychology of Intergroup Relations.
15. Tsfati, Y., Stroud, N. J., & Chotiner, A. (2023). Media reliance and the power of online communities: Revisiting theory in the social media age. New Media & Society, 25(2), 401-418.

Web Site:

< https://drasah.com/Description.aspx?id=5099#div6> (drasah.com.)